الفتو ق⁽¹⁾ فى الأصل مفهوم خلق يتضمن جميع الحصال التى منتظر أن يتخلى بها فنى من الفتيان فى جزيرة العرب (والفتى هنا الرجل المهذب الكامل (Gentilhomme parfait). والصفتان اللتان مجمعهما الفتوة هما السخاء وحب القسرى ، من ناحية ، والشجاعة من ناحية أخرى وكاتاهما ينبغى أن تبلف حد الإفراط: فالأولى حتى الإملاق والثانية حتى الجود بالنفس .

وقد كان الفتوة في الإسلام تاريخ غنى . فقد فهم منها الصوفيون ، من ناحية ، أنها الإيثار altruisme بكل معانيه . وكانت المفهوم الأسامي الأخلاق الصوفية ، ولى على الأقل ، فيا يتملق بالصلات بالأقربين (٢) . ومن ناحية ثانية صارت ظاهرة إجهاعية تدل على فئة من الرجال بتدربون على خصائل الفتوة ويطبقونها (٢) . فاتسم مفهوم الفتوة أثناء تعلوره هذا . فالحربة والضيافة أصبحتا ، أحياناً ، دعارة . والشجاعة أصبحت ميلا المخاصمة . وأصبح المفتوة مجموعة من الرسوم لم مجل بعد عن مصدرها بوضوح فكان يستقبل الشاب في نقابة الفتوة بشد خصر ، بفوطة أو محزم وبالباسه لباس الفتوة الذي عتاز بالسراويل ، وبسقيه في كأس الفتوة الماء المشوب بالملع .

وشاركت نقابات الغتوة في الجهاد . وفي مقاتلة الكفار والهرباطقة . فكنت تجدهم على حدود المملكة الإسلامية فها وراء الهر Transoxanie ، وعلى ثغور الجزيرة والشام . وكان لهم إلى ذلك نسيب في المنازعات الداخلية في الإسلام أيضاً . وموقفهم في هذه المنازعات ليس واضحاً كل الوضوح .

 ⁽١) انظر مقالة و فنوة Futuwa ه التي كتبها الأستاذ C. Van Arendouk في دائرة المدارف الإسلامية . والمادة نفسها ليشم فارس في ذيل دائرة المدارف .

⁽¹⁾ Franz Taeschner, Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwwaldeals dans: Der Islam 21, 1937, p. 43-74.

⁽²⁾ Franz Taeschner; Die islamischen Futuwwabünde, Das Problem ihrer Entsehung und die Grundlinien ihrer Geschichte dans : Zeilschrift der Deutschen Morgenländischen Gesollschaft 87, 1933, p. 6-49.

ويحيل أنه كان في نفوس الفتيان حرمة خاصة لملي ابن أبي طالب صهر النبي ورابيم الخلفاء الراشدين . فقد كان في نظرهم المثل الأعلى للفتى ، للحديث المأتور لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على » . ولكن ذلك لا يستازم صفة النشييع ، فقد كان تكريم على منتشراً في بعض أوساط أهل السنة . ويحدثنا المكانب الرحلة ابن جبير (المتوفى سنة ٦١٤ ه ١٢٦٧ م) عن طائفة من الدماشقة يمتنقون الفتوة ويسمون بالبنوية كانوا يقاتلون الشيمة المفالين (الإسماعيلية) الذين أطلق عليهم المم « الحشاشين » في أدب الحروب الصليبية . فيعد أن يذكر ابن جبير بمناسبة وصفه دمشق (وكان فيها في ربيع الثاني سنة ٥٠٠ ه تموز ١١٨٤ م) خبر هؤلاء الشيمة المفالين يقول (١) :

« وسلط الله على هذه الرافضة طائفة تمرف بالبنوة ، سنيون يدينون بالفتوة وبأمور الرجولة كالها . وكل من ألحقوه بهم لحصلة يرومها فيه يحزمونه السراويل فيلحقوه بهم ، ولا يرون أن يستمدى أحد مهم في نازلة تنزل به ، لهم في ذلك مذاهب عجيبه ، وإذ أقدم أحدهم بالفتوة برقسمه . وهم يقتلون هؤلاء الروافض أبنا وحدوهم . وشأنهم عجيب في الأنفة والائتلاف » .

أضف إلى ذلك أن نقابات الفتوة كان تتولد فى المدن الكبرى فيكون لها فيها سلطان وشأن . وكانت تستخدم هذا السلطان بلا ترو فترو ع الأهالى . مما دعى إلى تسميتهم « بالديارين brigands, Vagabonds . وفى بنداد خاصة أحدث هؤلاء مرات عديدة فننا وقلاقل . وأدى ذلك إلى اضطراب بنداد فى السنوات التى امتدت بين ٥٢٩ ه و ٥٣٩/١٣٥ – ١١٤٤ ، فى ظل النظام الإرهابى الذى أقامه العيارون .

ويصف لنا ان الجوزي الواعظ البغدادي المثمور (المتوفي سنة ٥٧٩ ه

 ⁽۱) رحلة إن جبير (الطبعة الثانية ، ليدن ولندن ۱۹۰۷ (دغويه) س ۳۸۰ سطر ۱۰ وما بهده.

١٣٠٠ م) هؤلاء العيارين في ذلك العصر وصفاً ببين فيه محاسمهم ومساومهم. فيقول(١) :

« الميارون يسمون بالفتيان ويقولون الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتكك ستر امرأة . ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس . ويسمون طريقهم الفتوة . ورعا حلف أحد محق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب . ويجملون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كالباس السوفية المريد المرقمة . ورعا سمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلة زور لا تستح ، ورعا كانت من مفرض فقتلها . وبدءون أن هذه فتوة ، ورعا أفتخر أحدهم بالسبر على الفسرب . »

* * *

و محن نعلم أن المخليفة العباسى الناصر لدين الله (الذي حكم في سنة ٥٧٥ إلى سنة ١٩٧٦ مسنة ١٩٧٠ الله (الذي حكم في سنة ١٩٧٥ مسنة ٢٧٠ م الفتوة وأعاد إسلاحها وتنظيمها ، (٢) بمد أن البسه في سنة ٩٧٥ ه / ١١٨٧ – ٩٨ م الشيخ عبد الجبار بن سالح البغدادي لباس الفتوة (٢). ومجد أخباراً قصيرة في هذا الشأن عند المؤرخين العرب وعند كتاب غيرهم. نذكر مثلا ما قاله ابن العاركان الفتوة الذي سنتحدث عنه بعد قليل.

 ⁽١) ابن الجوزى ، الناموس في تلبيس إبليس . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٤٠ ،
 س ٢٠١ و الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٨ ، س ٢٩٧ .

⁽¹⁾ Franz Taeschner, Islamisches Ordensrittertum zur Zeit der Kreuzzüge dans: Die Welt als Geschichte 4, 1938, p. 383-408: le même, Das Futuwwa-Rittertum des islamischen Mittelalters dans: Beiträge zur Arabistik, Semitistik und Islamwissenschaft, Leipzig 1944, p. 340-385.

وانظر مصطفى جواد . الفتوة والفتيان قديما . فى مجلة لفة العرب . الحجلد ٨ ، ١٩٣٨ ص ٢٤١ — ٢٤٩ .

 ⁽۲) كاتب چلې (حاجی خليفة) ، تفويم النواريخ (۸۰۰۸ هـ – ۱٦٤٨ م).
 استانبول ۱۱٤٦ س ۲۷ و ۲۱ و ما بىدها ، و يقول : .

بوشيدن ناصر خليفة لباس فتوة را از شيخ عبد الجبار .

أما تاريخ لباس الحليفة سروال النتوة فلم أجده في مصدر آخر الاعند كانب جلي . وهو متأخر (١٠١٧ — ١٠٦٧ / ١٦٠٩ — ١٦٠٩) .

-فقد أخبرنا عن الفتوة قبل أن يتمهدها الناصر برعايته ، ويصف الظروف التي أدت إلى إصلاح الحليفة . فيقول(١) :

ه ولم تول الفتوة تنقل (يمنى عن على بن أبي طالب) وهلم جرا إلى عصر نا هذا حتى تفرعت وصارت بيوتاً وأحزاباً وقبائل كالرهاصية والشحينية والخليلية واللدية والنبوية لما حدث بينهم من الاختلاف . . . فلما انتهى ذلك إلى عصر سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنم نظره التام وقصه الكامل في النسب واختار كبيراً في الفتوة الشيخ الصالح الزاهد المابد السعيد عبد الجبار بن صالح البغدادى رحمة الله عليه لما كان عليه في الحقيقة من حسن السيرة والهاريقة . . . أحي سننها وممالمها . . . فيم ما تشتت من نظامها وشيد ما تمطل في أحكامها ، واقتدى به في ذلك زعماء البلاد والحواص في العباد ، وما فتأ الناس على نهجة مهتدين وبفتوته متمسكين » .

ويتحدث الخرتبرتي، وهو كانب آخر عني بالفتوة، عن ذلك فيقول ممارات سمحة (٢):

« شيد بنيانها ومهد أركانها وألف أحزابها وأرشد طلابها وأظهر أنوارها وأوضح برهانها . فبطلت البيوت إلا ما شيده وبناه وتعطلت تلك المعاقل إلا ما اختاره وإصطفاه » .

ویذکر ابن الساعی المؤرخ البغدادی فی حوادث سنة ۲۰۶ ه / ۱۲۰۷ مایلی (۲۰۰ :

 ⁽١) كتاب الفتوة لابن الدياد (انظر فيا بعد س ١٩٥) ، مخطوطة في مكتبة جامعة توبنجن ma 137 ورقة ١٠٠ آ – ١٦١. وانظر أيضاً :

P. Kahle dans : Festschrift Georg Jacob, Leipzig 1932, p. 113 sq.) et lv sq.
(۲) محفة الوصايا للخرتبري (انظر فيا بعد س)، مخطوطة استادول، أيا صوفيا
رقم ۲۰۲۹ ورقة ۲۰۲۸.

[:] أن الساعى . الجمام المحتصر . الجرو الناسع ، بغداد ١٩٣٤ ، ص ٢٢١ وانظرايضاً . P. Kahle dans : Festschrift Max Frh. v. Oppenheim, Berlin 1933, p. 52 sqq.)

« في هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة ، وُجعل أمير المؤمنين الناصر لدين الله رضى الله عنه القبلة في ذلك والرجوع إليه فيه . وقد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه . وكان شيخاً منزهداً ، فدخل في ذلك الناس كافة من الحاص والمام ، وسأل ملوك الأطراف الفتوة فنفذ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة ، وانتشر ذلك ببغداد ويفتى الأصاغر إلى الأكار » .

وببين لنا إن الأثير بمض وجوه الإصلاح في الفتوة فيقول (١):

« وجمل همة فى رمى البندق والطيور المناسيب وسراوبلات الفتوة . فبطل الفتوة فى البلاد جميمها إلا فى يلبس منه سراويل يدعى إليه . ولبس كثير فى الملوك سراويلات الفتوة ، وكذلك أيضاً منع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ، ومنم الرمى بالبندق إلا من ينتهى إليه » .

ويوجز ان الطقطتي في ذكر ذلك فيقول :(٢)

« ولبس لباس الفتوة وألبسه ، وتفتى له خلق كثيرون فى شرق الأرض وغربها ورمى بالبندق ، ورمى له ناس كثيرون » .

ونجد في ناريخ أبي الفداء ما بلي :(٢)

« وكان منصرف الهمة إلى رمى البندق والطيور المناسيب، ويلبس سراويلات الفتوة ، ومنم رمى البندق إلا من ينسب إليه » .

ويضيف هؤلاء المؤرخون هذه الاقصوصة الطريفة وهي على ما وردت في ان الأثير:

⁽۱) ابن الأثير ، كتاب الكامل في التاريخ . طبعة Tornberg ، الجزء ۱۲ س ۲۸٦ ، ۱ ، ۳ في الأسفل = وطعة القاهرة ۱۳۰۳ ، س ۱۹۹ س ۲۰۱ وما بعدها .

 ⁽۲) ابن الطفطق ، کتاب الفخری . طبعة Ahlwardt س ۲۷۰ ، ۱ ، ۳ فی نجت المبعة Derenbourg س ۲۳۶ ، ۲۰۱ و ما بعدها = طبعة الفاهرة ، بلا تاریخ ، س ۲۲۶ ، ۲ ، ۲۰ ، ۱۹۰ و ما بعدها .

 ⁽٣) أبو النداه ، تاريخ في سنة ٦٣٢ ه / ١٣٧٥ م . طبعة القاهرة س ١٣٦ =
 طبعة استاميول س ١٤٢ .

« فأجابه الناس بالمراق وغيره إلى ذلك . إلا إنساناً واحداً يقال له ابن السفت. فى بنداد ، فإنه هرب من العراق ولحق بالشام ، فأرسل إليه يرغبه فى المال الجزيل ليرى عنه وينسب فى الرى إليه فلم يفعل ، فبلغنى أن بعض أصدقائه أنكر عليه الامتناع من أخذ المال . فقال يكيفينى فخراً أنه ليس فى الدنيا أحد إلا رمى للخليفة إلا أنا ، فكان غرام الخليفة بهذه الأشياء من أعجب الأمور » .

وهكذا نرى أن الخليفة قد أضاف إلى مفهوم الفتوة التي ركزها بشخصه ، ميله إلى الرياضة وحبه رى البندق والطيور المناسيب . وكان يأمل بشففه برى البندق أن يجمل أمهاء الأطراف أكثر تملقاً بشخصه ، وأن بكون قدوة لهم . ويذكر أبو الفداء هذه الجهود التي قام بها في حوادث سنة ١٢١٠/٦٠٧ كما يلي (١١) : «وفيها وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة ويابسوا له سراويلها وينتسبوا إليه في رى البندق ومجملوه قدونهم فيه » .

ويفصل ابن الفرات الأمر فيقول (٢):

« وكان عيل إلى رمى البندق والطيور المناسيب ولبس سراويلات النبوية والفتوة ، وكانت ساير ملوك الأطراف أن سبقوا إليه فى رمى البندق ، وفى الفتوة . فبطل الفتوة فى البلاد جميمها إلا من لبس منه السراويل ورمى له . فلبس سائر ملوك الآفاق سراويلات الفتوة له وادعوا له فى البندق . ووصل رسوله إلى حماة فى أيام الملك المنصور الأيوبى صاحب حماة وأمره بأن يلبس للخليفة ويلبس الأكابر له . فأم الملك المنصور صاحب حماة الشيخ سالم بن نصر الله بن واصل الشافعي الحوى

⁽۱) أبو الفداه ، تاريخ ، الجزء الثالث ، حوادث ـــــنة ۲۰۷ ه / ۱۲۱ م . طبعة الفاهرة س ۱۱۳۰ . = طبعة استامبول ، س ۱۱۹ . وانظر : Futuwwa-Rittertum, p. 355, note 26.

⁽٢) ذكر هذا النص J. v. Hammer-Purgstall في النصوص المتعلقة بالفتوة عنسد المؤرخين العرب. نشرت في الجورنال الآسيوة ، المحلد ٢ ، عام ١٨٥٨ ، من ٨٥ وماسدها.

بعمل خطبة فى الفتوة فعمل خطبة بديمة فى هذا المعنى ، واستشهد بآيات من القرآن الدير منها قوله تعالى (إذ أوى الفتية إلى الدير منها قوله تعالى (إذ أوى الفتية إلى الكهف) وغير ذلك من الأخبار والآثار . فقرئت هذه الخطبة لحضرة الملك المنصور صاحب حماة والأكار . وكان قاضى حماة فى ذلك الزمان القاضى برهان الدين أبا اليسر بن موهوب فأحمره الملك المنصور بلبس سراويل الفتوة فى المجلس ، فلبسها وليسها الجاعة » .

ثم بلي ذلك ما جاء في ان الأثير عن ابن السفت .

* * *

ولدينا عن هذه الفتوة البلاطية المرتبطة بشخص الخليفة أخبار أخرى فيها تفصيل أوسع وردت في كتابين ألفا عنها . الأول : كتاب الفتوة الذي ألفه الفقيه الحنبلي أبو عبد الله محمد الشارم (؟) المعروف بان العار . والثاني : كتاب تحفة الوصايا الذي ألفه أحمد بن الياس النقاش الحرتبرتي . أما كتاب ابن العار فقد كتب بروح الفقه الإسلامي^(۱) . وكل ما نعرفه عن نقابات الفتوة قبل الناصر قد أيده هذا الكتاب . وإلى هذا فهو بعلمنا أيضاً أموراً كثيرة عن تنظيم الفتوة وعادامها . فنه نعلم أن كل فتى اسمه رفيق، جرفاق ، وأن بين الرفاق صلات متينة بشكل درجي hierachique ، ونسبة الواحد إلى الآخر يعبر عنها بـ «كبير»

⁽١) انظر:

H. Thorning, Beiträge zur Kenntnis des islamischen Vereinswesens, Berlin 1913, p. 45 sqq.,

وهو أول من لفت الأنظار إلى كتاب الفتوة لابن المار : ونجد منتخبات منه بالألمانية عند:

P. Kahle, Die Futuwwa Bündnisse des Chalifen an-Nasir dans: Festschrift Georg Jaeob, ed. par Th. Menzel, Leipzig 1932, p. 112-127

كما أن كتاب ابن العمار وكتاب الخرتبرتي ألفا أساس رسالتي عن الفتوة السماة :

Das Futuwwa Rittertum dans : Beiträgezur Arabistik, Semitistih und Islamwissenschaft éd. par R. Hartmann et H. Scheel, Leipzig 1944, p. 359 sqq.

و «صمير » أو تستعمل تمابير الأسرة فيقال « أب » و « ابن » . يريدون أن يجملوا النقابة تشبه الأسرة نفسها . وهذا الترتيب المتسلسل في الفتوة نجده في سلسلة تنتهي بالشخص الأول الأسطوري للفتوة تحمد النبي . والأعضاء المتصاون بصلة النسب القريب يؤلفون «حزباً» ، وبضمة أحزاب تؤلف «بيتاً» ، وعلى رأس كل ببت « زعيم للقوم » وعلى رأس المؤسسة كلها يوجد « نقيب » .

هذه الصورة التي رسمها كتاب ان المهار عن مؤسسة الفتوة تطابق الحقيقة . فنحن مجدها في منشور المخليفة الناصر بتاريخ ٩ صفر سنة ١٠٤ ه ٤ أيلول سنة ١٠٧٠ . وقد حفظة لنا ابن الساعي ، المؤرخ البغدادي ، وحافظ خزانة الحليفة المستنصر ، (توفي ابن الساعي سنة ١٧٤ ه ١٢٧٥ م)(١) . فعلي أثر فتنة حامية ثارت بين أفراد حزبين من أحزاب الفتوة عمد الحلفية في هذا المنشور إلى المخاذ تدابير شديدة لمنع أشباه لمك الفتن ، لأنه رئيس الفتوة . وكلا النصين ، نسب ان المهار ومنشور الخليفة مرتبطان جداً .

أما الكتاب الثانى الذى ألفه الخرتبرتى فقد ألف لابن الخليفة الناصر الملك المعظم أبى المحاسن على التوفى سنة ٦٦٢ م ١٣٦٦ م . وقد وضع هذا الكتاب ، على عكس كتاب أب العار ، بروح صوفية بحتة (٢٦) . وينتج عن هذين الكتابين بوضوح أن الاستقبال فى النقابة كان يجرى بنظام خاص . فهو يتألف من « الشد » ، و « الشرب » من « كأس الفتوة » الملأى بالماء الملح ، ولبس « لباس الفتوة

⁽۱) تاج الدين على بن أنجب ابن الساعى ، الجامع المختصر . طبعة مصطفى جواد والأب انستاس مارى بغداد ۱۹۳2 ، س ۲۲۱ وما بليها . وافظر أيضاً :

P. Kahle, Ein Futuwwa-Erab des Kalifen en-Nasir aus dem Jahre 604 (1207) dans: Festschrift Max Frh. v. Oppenheim (Beiheft I du Archiv für Orientforschung), Berlin 1933, p. 52-58.

 ⁽٢) عن تحفة الوصايا للخرتبرتى انظر:

Taeschner, Futuwwa-Studien 1 dans: Islamica 5, 1932, p. 285 sqq., spéciellement 294 sqq. et 314 sqq., et Der Islam 24, 1927, p. 65 sqq.

الذي كان أهم ما يميزه « السراويل » . وتجمد علة الاستقبال موصوفة في كتاب الحربرق ، فالاستقبال يجرى على مرحلتين : فني الأولى يتم الشدد وبه يصبح « الطالب » « مربداً » وفي المرحلة الثانية التي تسمى « التكيل » عند ابن العار والتكفية عند الحربرتي يستطيم المربد المشدود أن يلبس لباس الفتوة .

أما العمل الرياضي والرمى بالبندق وتربية الطيور المناسب – التي يذكر المؤرخون صلتها باستقبال الفتوة ، على طريقة الناصر – فلا يتحدث عنها الكتابان المذكوران ، ولا شك أنها كانت هواية خاصة عند الخليفة ، وكان يستخدمها ليحمل أمراء العالم الإسلامي على قبول لباس الفتوة من يده .

ويؤكدالؤرخون ، ويكاون بذلك كتب الفتوة ، بأن الفتوة كانت منفصلة عاماً عن الحركة العلوية . وقد كانت سلسلة الفتوة ننتهى بعلى ، مارة بسلمان الفارسى . ويذكر الناصر في منشور سنة ١٣٠٧ أن علياً كرم الله وجهه « هو أصل الفتوة ومنبعها » (١) ولكن بما أن لأبي بكر مكاناً مكرماً في جميع كتابات الفتوة فلا يمكن البتة أن بنسب إلى التشيع هذا الموقف العاوى . أما الخليفة الناصر نفسه فيزعم المؤرخون أنه كان « ميالا إلى الشيعة » (٢) وأنه كان أمامياً أي متبماً الأثمة الاثنى عشرية (١) ، وأنه بمكن أن نجد الدليل على ذلك في بناء الناصر للشيعة في سامما مقر الخلفاء القديم على دجلة ، زاوية في أكبر زوايا الشيعة ، تسمى غيبة المهدى (١) .

وبحدثنا ابن الفوطى عن علوى اسمه جلال الدين عبد الله بن المحتار (توفى

⁽١) انظر Paul Kahle ، المصدر المذكور سابقا .

 ⁽۲) أبو القداء ، تاريخ ، الجزء النالث ، في سنة ۲۷۲ . طبعة القاهرة سنة ۱۳۲۰ ،
 س ۱۳۶ = طبعة استامبول سنة ۲۸۵ ، س ۱۹۲ .

⁽۳) ابن الطلطق ، کتاب الفخری . طبعة Deren bourg ، س ۳۳۳ == وطبعة ۳۷۰ ، Ahlwardt .

[.] Futuwwa-Rittertum, S. 373, note 68. انظر (٤)

سنة ٦٦٤ هـ — ١٣٤٨ م)كان يساعد الخليفة فى جهوده وينم بمنزلة كبيرة عنده « وكان يحضر عند الخليفة الناصرفى رمى البندق والفتوة ولعب الحمام . وكان يفتى فيه ويرجم إلى قوله » (١)

ِ فهذا النص بحمل على الظن أن هذا العلوى قد شارك فى وضع قوانين الفتوة كالتي نجدها فى كتاب ان العهار .

ثم يتابع ابن الفوطى فيقول:

« ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستنصر بالله : فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين على عليه السلام وأفتى بجواز ذلك فتوجه الخليفة إلى المشهد (يمنى مشهد على) ولبس السراويل عند الضريح الشريف . وكان هو النقيب في ذلك » .

فىلى هذا قد يكون المستنصر ، حفيدالناصر (٦٢٣ – ٦٤٠ هـ/١٣٢٦ – ١٣٤٠ م) قد أُسَّس سلسلة جديدة للفتوة تبدأ به وتنتهى بهلى . ولكن يخيل أن هذا الأمن لم يقم لأننا لا نجد ما بدل عليه في كتب عنه الفتوة فما بعد .

ولم يكن ابن المختار وحده الذي تولى من العلوبين نقابة الفتوة . فقد تولاها أفراد من آل معية . وبذكر ابن عنابة في ناريخه عن تاج الدين محمد بن معية ما يلي : (٢) «وكان يتولى إلباس لباس الفتوة ويمتري إليه أهلها ويحكم ييمهم عا براه

⁽١) ابن الفوطى ، تاريخ الحوادث الجامعة . بغداد ١٩٣٧ ، س ٢٥٦ وما بعـــدها . (وانظر أيضًا : مصطلق جزاد في : لغة العرب ٨ ، ١٩٣٠ ، ص ٢٤٢ وما بعدها) .

 ⁽۲) ابن عنابة ، عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب (ناريخ الأسرة العلوية ، ألف بعد سنة ۸۰۲ (ذكره يعقوب نعيم سركيس فى مجلة لفة العرب ٨ [١٩٣٠] ، وانظر أيضا :

Quatremère, Histoire des Sultans Mamlouks I, I, p. 59, note 83). وعن نقابة للفتوة انظر ماكتبه ماسينيون :

L. Massignon dans: Wiener Zeitschrift fuür die Kunde des Morgenlandes 51, 1948, p. 114 sq.

غيطيمون أمره ويمتثلون موسومه (مرسومه ؟) وهذا النصب ميراث لآل ممية منذ عهد الناصر لدن الله » .

والأمر الذي يجب معرفته الآن هو كيف ينبغي أن يفسر عمل الخليفة الناصر بتبني أن يفسر عمل الخليفة الناصر بتبني الفتوة ، أكان ذلك لهواً من الخليفة أو أن الخليفة كان يرى به إلى هدف سيامي ؟ إن المؤرخين لا يذكرون شيئاً ، وكذلك كتب الفتوة لا تفسح من شيء . غير أن ابن خلدون يبين رأيه في سياسة الناصر — رغم أنه كان بميداً عن المصر وأوله — فيقول : (1)

لا وكان مع ذلك كثيراً ما يشتغل برى البندق واللعب بالحمام المناسيب ، ويلبس مراويل الفتوة ، شأن المياون من أهل بفداد . وكان له فيها سند إلى على ممن ألبسه إياها . وكان ذلك كله دليلا على هرم الدولة وذهاب الملك عن أهلها بذهاب ملاكها منهم »

فيخيل أن ابن خلدون نظر فى الحقيقة أن سياسة الناصر فى الفتوة كانت لهواً وطيشاً وعد ذلك فى أوقات انحطاط الحلافة العباسية التى مهدت سقوطها .

وما نحسب أن ذلك كان صحيحاً ، نظراً لنشاط الناصر السياسي طوال حكمه الذي دام 20 سنة . لهذا حاولت أن أصل بين سياسة الفتوة ونشاط الخليفة السياسي ، فقد كان هدفه الأول إعادة تنظيم سلطة الخلافة الدينية . لأنى كنت أرى أن الناصر بركزه الفتوة في شخصه ونشرها بين الأمراء في العالم الإسلامي إنما فعل ذلك لنقصان القوى المسكرية لديه، ثم ليخلق بواسطة هذه التبعية القوية بين أفراد الفتوة حزباً من الأمراء يستطيم أن يسخرهم عند الحاجة لتنفيذ رغباته (٢) أثراه فعل هذا ؟ لم يثبت شيء من ذلك .

⁽١) ابن خلدون ، كتاب العبر ، الجزء الثالث ، بولاق ١٢٨٤ ، ص ٣٠٠ .

⁽٢) انظر مامي من دراساتي عن الفتوة في الحواشي .

Islamisches Ordensrittertum, P. 403 sqq., et Das Futuwwa-Rittertum, d. 376 sqq.

ويرى يول ثيتك P. wittek (ان هدف الناصر السياسي الذي حاول. الوصول إليه بإعادة تنظيم الفتوة كان دعم الجهاد ، ومقاتلة الصليبيين . ولكن رى مما ذكره المؤرخون أن الناصر لم يهتم قط بهذه الأمور ، وبمكس ذلك يرى. سالنجر g. Salinger أن غرض الناصر من هيمنته على الفتوة كان رقابة النقابات الشاذة التي أثارت في بغداد خاصة قبل حكمه فتناً وقلاقل استمرت سنين وأرهبت الناس (۲) . على أن دخول الخليفة نفسه في هذه الجاءة هو وسيلة غريبة كا يخيل إلى ، لبلوغ الهدف ، ثم إن الدعاية للفتوة بين أفراد العالم الإسلامي تصبح أمراً يحتاج إلى إيضاح ..

* * *

إن سقوط الخلافة المباسية على أثر غزو هولاكو بنداد (٦٥٦ه /١٢٥٨) أدى إلى زوال هذا الضرب من الفتوة الخلافية . أو إلى الدار ممالمها شيئاً فشيئاً ولقد أدخل العالم المحيط encyclopediste محمد بن محمود الآملي (القرن الرابع عشر) فصلا عن الفتوة في كتابه ، فيه تجديد ما كتبه ابن العار، ولكن باللغة الفارسية (٢٠). وليس مؤكداً أن واقع الفتوة يومئذ كم جاء في ذلك الفصل .

وصدما أعاد الملك الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلى مصر فى سنة ٢٠٩ هـ / وصدما أعاد الملك الظاهرة ممها الفتوة الخلافية . ويذكر المؤرخ النصراني المفضل

⁽١) انظر :

Paul Wittek, Deux chapitres de l'histoire des Turcs de Roum, II. Les Ghazis dans l'histoire ottoman, dans . Byzantion 6, 1936, p. 306 sq.

⁽۲) انظر:

Edward Salinger, Was the Futūwa an oriental form of chivalry? dans: Proceedings of the American Philosophical Society 94, 5° Oct. 1950, p. 481-493.

 ⁽۳) كد بن محود الآمل ، نفائس الفنون في مسائل العيون (أأنف بين سسنة ۷۳۰ و ۲۳۰) الجزء الأول س ۱۹۳ و ۱۳۰۸) الجزء الأول س ۱۹۳ وما نظر :

H. Ritter, Zur Futuwwa dans : Der Islam 10, 1920, p. 244-250.

ان أبى الفضائل أن بيبرس لبس قبل دخوله دمشق آباس الفتوة ، أابسه إياه الخليفة. المستنصر بالله الثاني وهذا نصه :(١)

« ثم تجهز الظاهر بيبرس إلى الشام فى ناسع عشر رمضان ، ورغب السلطان فى لباس الفتوة فألبسه (الخليفة) قبل سفره . ونسبة الفتوة من الإمام على كرم الله وحهه » .

ويسرد المقريزي هذا الجزء بشكل آخر فيقول :(٢)

« وفى يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة ، وصليا صلاة الميد . وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بمحضرة الأكار » .

فلما قتل المستنصر الثانى في حملته الفاشلة على المغول أقام بيبرس أحد المباسيين خليفة بامم الحما كم بأمم الله . وعند وصل إلى القاهرة في سنة ٦٦٦هم / ١٣٦٣ م رسول ملك القفجانى بركة خان ليخبر السلطان باعتناق ملكه الإسلام اغتم بيبرس هذه الفرصة وألبس الحليفة لباس الفتوة . ويبين لنا المقريزى ذلك بقوله : (٣) وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سأل الملك الظاهر الحليفة الحاكم بأمم الله هل ليس الفتوة من أحد من أهل بيته الطاهرين ، وفي أوليائهم المتقين ، فقال لا ، والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود ، فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة وأن يمنحه ما كان ابن عمه رضى الله عنه افترضه ، ولبس (الحليفة) في الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره في مثل ذلك . وباشر اللبس ألأنابك

⁽¹⁾ E. Blochet, Moufazzal ibn Abil-fazail, Histoire des Sultans Mamlouks dans: Patrologia Orientalis XII, Paris 1919, III, p. 426/(84);

وقد نقل النص أيضا زيادة في السلوك . الأول ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ٩٠٩ ، حاشية رقم .

 ⁽٧) القريزى ، السلوك المرفة دول اللوك. نصرة زيادة . الجزء ١ القسم ٧ ،
 القاهرة ١٩٣٦ من ٩٥٤ .

⁽٣) المصدر السابق ص ٤٩٠ ، تحت . وانظر أيضا :

Quatremère, Histoire des Sultans Mamlouks. I, 1, p. 212.

فارس الدين أقطاى بطريق الوكالة عن السلطان بحق لبسه عن الإمام الستنصر بالله أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر . . . وحمل السلطان إلى الخليفة من الملابس لأجل ذلك ما يليق بجلاله . » .

وعلى أثر ذلك لبس رسول تركة لباس الفتوة أيضاً .(١)

وقد سار أخلاف بيبرس سيرته ولبسو لباس الفتوة وألبسوه الأمراء المهاليك وغيرهم، فني سنة ١٣٩٧ ألبس السلطان الأشرف خليل علاء الدين الهكارى، الأمير الكردى لباس الفتوة . وكتب توقيماً بذلك . (٢٦) وكان الأمراء المهاليك المفتون يبيّنون ذلك في رنوكهم (٢٦) أما كيف كان يجرى التفتى أيام المهاليك فذلك ما يحدثنا عنه القلقشندي مقوله : (١)

ه اعلم أن طائفة كبيرة من الناس يذهبون إلى إلباس الفتوة ويقيمون الذلك شروطاً وأداباً جارية بينهم ؟ ينسبون ذلك فى الأصل إلى أنه مأخوذ عن الإمام على كرم الله وحهه . — والطريق الجارى عليه أصرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة اجتمع من أهلها من تيسر جمه وتقدم ذلك الدكبير فيلبس ذلك [المريد] ثمياباً ، ثم يجمل فى كوز أو نحوه ماء ويخلط

 ⁽١) ركن الدين بيرس المنصوري (مات ٧٧٥ه/ ١٣٣٥م) ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، عند :

W. Tiesenhausen, Shornik materialov otnosjascichsja k istorii Zolotoj Ordy (Recueil de Majériaux relatijs à l' Histoire de la Horde d'or) I, St. Pétersbourg 1884, p. 78, 1, 6 en bas.

⁽٢) انظر:

Franz Taeschner, Eine Futuwwa-Urkunde des Mamlukensultans al-Aschraf Chalil von 1292, dans: Fr. Taeschner und O. Jäschkc, Aus der Geschichte des islamisehen Orients (Philosophie und Gesehichte 69), Tübingen 1949. p. 1-15

وتجد النص ، بلا سم ، عند الفلقشندى : صبح الأعشى . الجزء الشائى عشر . الفاهرة ۱۹۱۸/۱۳۳٦ ، ص ۲۷۶ - ۲۷۲ . وهناك توفيع آخر فى المصدر نفسه ص ۲۷۲ - ۲۷۹ (۳) انظ :

L.A. Mayer, Saracenic heraldry, Oxford 1932, p. 19 sqq.

• ۲۷٤ م ۲۷۶ الفلقشندي ، الصدر الذكور ص ۲۷۶

مه بعض ملح ويقوم كل منهم فيشرب من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره ؛ ورعا العتنى بذلك بعض الملوك . وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحداً من الأحمراء أن يكتب له بذلك توقيعاً » .

وهناك كتب عن الفتوة نستطيع أن نعرف منها الألفاظ والتعابير التي كانت تدور في حلقات الفتيان (۱) . وقد كانت هذه الفتوة السلطانية أيام الماليك مرتبطة مثل الفتوة الحلافية زمن الناصر برى البندق (۲) . ويبدو أن الملك الظاهر أولى اهماماً بالرى ، يدل عليه لقبة « البندق قدارى »، ويخيل أن الاهمام بالفتوة قد ضمف على توالى الأيام كما ضمف الاهمام برى البندق المتصل على المنارة .

* * *

ويخيل أن بمض اليول الدنيا التي كانت خفية في هذه النقابات قد ظهرت وهيمنت في عصر انحطاط الفتوة هـذا . مما دفع كبار الفقهاء إلى إنكارها . ومثل هذا الإنكار ظهر من الفقيه الحنبلي ابن تمية (المتوفى سنة ٧٢٨هم / ١٣٢٧م) ومن تلميذه الفقيه الحنفي ابن بدغين (١) ، والشافعي ابن الوردى (٥) (المتوفى سنة ٧٤٩هم / ١٣٤٩) الذين قاموا على بمض المنكرات التي دخلت في نقابة الفتوة .

⁽١) القلقشندي ، المصدر المذكور ، ص ١٤٦ .

 ⁽۲) الفافتشدى ، الصدر الذكور ، ص ۱٤٦ ، يجمل رماة البندق مع الفتيان .
 م في ۲۹ : ۲۹٦ /مع توقيعات الفتوة .

⁽٣) العلقشندي ، ١١/٤٥١ و ٢٦٩ .

⁽⁴⁾ J. Schacht, Zwei neue Quellen zur Kentynis der Futuwwa dans : Festschrift Georg Jacob, Leipzig 1932, p. 276-287.

ويبدو أن إنكار ابن تيمية كان على بعض أمور في الفتوة . في حين أن ابن بدغين كان في حكمه أشد . (انظر شاخت ، س ١٨٣ ، حاشية رقم ه ، وس ٢٨٧ في الأعلى) .

⁽⁵⁾ I. Goldziher, Ein Fetwa gegen die Fntuwwa, dans : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 73, 1919, p. 127 sq.,

وأعيد طبعها فى مطبعة الجوائب . استامبول ١٣٠٠ ، ص ١٥٤ :

والمالة الصغيرة هي تقريظ مضاف إلى إنكار الفتوة لمجهول ، في مخطوطة استامبول أيا سوفيا ١٩٤٣ .

وأخذت الفتوة ترول شيئاً فشيئاً فى الأوساط الرفيمة وبقيت فى الأوساط البورجوازية فى المدن . حتى أنها أوتيت تفتحاً جديداً فى أوساط العسناع بأناطولية باسم (آخليق) (١) . ويصف لنا الرحالة ابن بطوطة الذى كان يرور الأناسول حوالى سنة ١٣٣٣ هذه الجميات التى يسمها (الأخيدة الفتيان) والتى كان يجدها فى كل بلدة فى أناطولية . (٢) وأخيراً دخلت الفتوة فى أصناف المهن (٢) . وبقيت آثارها ظاهرة إلى آخر القرن التاسم عشر عند ما زالت أصناف المهن فى الإسلام .

⁽¹⁾ Franz Taeschner, Beiträge zur Geschichte der Achis in Anatolien (14-15. Jahrhundert) auf Grund neuer Quellen, dans : Islamica 4, 1929, p. 1-47; le mēme, Die Achibünde und ihr Verhältnis zum Nāsirkrets, dans : Islamica 5, 1932, p. 283-325, enfin Fr. Taeschner und W. Schumacher, Der anatolische Dichter Näsiri (um 1300) und scin Futuwetnāme, Leipzig 1944, où est douné d'autre litterature.

 ⁽۲) رحلة ابن بطوطة . طبعة C. Defrêmery et B. R. Sanguinetti با بطوطة . طبعة المستحة ۱۹۹۲ . وانظر أحياناً في ص ۲۵۴ — ۲۹۲ . وانظر أحياناً في ص ۲۵۴ — ۳۰۳ .

⁽³⁾ Bernard Lewis, The Islamic Guilds, dans: Economic History Review 8, 1937, p. 20-37; Franz Taeschner, Das Zunftwesen in der Türkei, daus: Leipziger Vierleijahrsschrift für Südosteuropa 5, 1941, p. 172-188. Pour les corps de métier de Damas au temps moderne voir Elia Qoudsi, Notice sur les corporations de Damas, publ. par Carlo Landberg dans: Travaux de la VIe session du Congrès international des Orientalistes à Leide II, Leiden 1884, 34 pages.

آثار الأستاذ تيشنر عن الفتوة

1— Das Futuvvetnāme des Jahjā b. Halīl (Le Futuvvetnāmé de Yahyā b. Halīl)

dans: Orientalistische Literaturzeitung 31 (1928) 1065/66.

2— Beiträge zur Geschichte der Achis in Anatolien (14./15. Jahrhundert) auf Grudd neuer Quellen (Études sur l'Histoire des Akhis d'Anatolie (14./15° siècle) fondées sur des sources nouvelles)

dans: Islamica 4 (1929) 1-47.

3— Futuwwa-Studien: die Futuwwabünde in der Türkei und ihre Literatur (Études sur la Futuwwah: les Corporations ne la Futuwwah en Turquie et leur Littérature)

dans: Islamica 5 (1932) 285-353.

4— Das Fuûvvetname des persischen Dichters Hatifi (Le Futuvvetnamé du poête persan Hatifi)

dans: Festschrift (Publications dédiés à) Georg Jacob, herausgegeben von (edité par) Theodor Menzel, Leipzig 1932,p. 304-316.

- 5— Das Futuvvetkapitel in Gülschehris altosmanischer Bearbeitung von 'Attars Mantiq uttayr (Le Chapitre sur la Futuvvet dans la traduction vieille-osmanlie de Gulchehri du poème persan Mantiq uttayr de 'Attar)
 - . ١٩٣٢ في براين عام ١٩٣٢. نشرت في براين عام ١٩٣٢. Berlin 1932, 19 pages.

6 — Die islamischen Futuwwabünde: das Problém ihrer Entstehung und die Grundlinien ihrer Geschichte (Les Corporations islamiques de la Futuwwah: le Probléme de leur origine et les Lignes fondamentales de leur Histoire)

dans; Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellsehaft 87 (1933) 6-49.

7 — Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwaideals (Le rôle du Soufisme dans la formation de l'Idéal futuwwique)

dans: Der Islam 24 (1937) 43-74.

 8 – Islamisches Ordensrittertum Zur Zeit der Kreuzzuge (Les Ordres chevaleresques islamiques au temps des Croisades)

dans: Die Welt als Geschichte 4 (1938) 382-408.

9 — Das Futuwwa-Rittertum des islamischen Mittelaters (La chevalerie de Futuwwah au Moyen-âge islamique)

dans: Beiträge zur Arabistik, Semitistik und Islamwissenschaft, heraugegeben von R. Hartmann und H. Scheel, Leipzig 1944, p. 340-385.

10— Der anatolische Dichter Na siri (um 1300) und sein Futuvvetname (Le poête anatolien Na siri (vers 1300) et son Futuvvetnamé)

11— Eine Futuwwa-Urkunde des Mamluken-Sultans al-Aschraf Chalīl von 1292 (Un Document de Futuwwah du Sultan Mamlouk al-Achraf Khalil de 1292)

dans: Aus der Geschichte des islamischen Orients, herausgegebe von Fr. Taeschner und G. Jäschke, 1949, p. 1 — 16.

12 — Das Futwwa-Kapitel in Ibn Ga'dawaihis Mir'at al-muruwwat (Le Chapitre de la Futuwwah dans la Mir'at al-muruwwat d'Ibn Dja'dawahi)

dans: Documenta islamica inedita, herausgegeben von J. Fück, Berlin 1952, p. 107-119.

13 — As-Sulamī's Kitāb al-Futuwwa (Le Kitāb al-Futuwwah d'as-Sulami)

dans: Festschrift Johannes Pedersen, Kopenhagen 1953, p. 351-358.



الجززالأول

دراسات مختلفة جمها وقلها إلى العربية وعلق عليها الدكتورصلاح الديرالممنجد

الفتوة والخليفة الناصر (*)

المستشرق الألماني فرانز تيشنر F. Taeschner

 ^(*) كتب الأستاذ تيشنر هذه الدراسة الهنتق بالنة الغرنسية ، ونقلناها منها إلى العربية . والأستاذ تيشنر هوالمختص الوحيد بين المستقرقين بالفتوة ومباحثه فيها ذات شأن .